

الهندسة المالية: الطريق نحو ابتكار أدوات تمويل إسلامية فعالة

د. نجلاء عبد المنعم

الهندسة المالية تلعب دوراً حيوياً في تطوير أدوات التمويل الإسلامي، حيث تهدف إلى تصميم وتطوير أدوات مالية مبتكرة تتوافق مع مبادئ الشريعة الإسلامية. هذا الدور لا يقتصر فقط على تكييف الأدوات المالية التقليدية، بل يمتد إلى خلق منتجات جديدة تلبى احتياجات السوق الإسلامية بشكل يحقق العائد الاستثماري ويضمن الالتزام بالأحكام الشرعية.

أولاً: مفهوم وأهمية الهندسة المالية

تُعرف الهندسة المالية بأنها عملية تصميم وتطوير أدوات ومنتجات مالية مبتكرة باستخدام تقنيات رياضية واقتصادية متقدمة. تهدف هذه العملية إلى تحسين الأداء المالي وإدارة المخاطر بشكل فعال، من خلال تقديم حلول متطورة تلبى احتياجات المؤسسات المالية والمستثمرين.

كما يتم تعريف الهندسة المالية بأنها "عملية تصميم وتطوير وتنفيذ أدوات وآليات مبتكرة، وصياغة حلول إبداعية للتحديات والمشكلات المالية". يشير هذا التعريف إلى أن الهندسة المالية تتضمن ثلاثة مجالات رئيسية من الأنشطة:

- **ابتكار أدوات مالية جديدة**، مثل بطاقات الائتمان، لتلبية احتياجات السوق المتغيرة.
 - **تطوير آليات تمويلية جديدة** تهدف إلى تقليل التكاليف الإجرائية للأنشطة المالية القائمة، مثل استخدام التبادل من خلال الشبكة العالمية.
 - **تقديم حلول مالية مبتكرة لإدارة السيولة أو الديون**، أو تصميم صيغ تمويلية تتناسب مع ظروف المشاريع والمحيط الاقتصادي الذي تعمل فيه.
- تكمن أهمية الهندسة المالية في قدرتها على معالجة التحديات المعقدة في الأسواق المالية، من خلال ابتكار أدوات مالية جديدة تتيح للمؤسسات التكيف مع التغيرات الاقتصادية والتخفيف من المخاطر المالية. كما تساهم في تحسين السيولة وتعزيز الكفاءة التشغيلية، مما يدعم النمو الاقتصادي ويزيد من فرص الاستثمار بطريقة أكثر أماناً واستدامة.

كما تكمن أهمية تطبيق الهندسة المالية في دورها الكبير في تعزيز تطوير المنتجات المالية من خلال الابتكار، وتحقيق الأهداف التالية:

- تحسين جودة المنتجات المالية: تعمل الهندسة المالية على إيجاد البيئة المناسبة لتعزيز البحث والإبداع والتطوير داخل المؤسسات المالية، مما يدعم الأفراد العاملين فيها في تقديم حلول مبتكرة.
- الامتثال للضوابط الشرعية: من خلال تطوير أدوات مالية تتماشى مع الشريعة الإسلامية، بما يضمن تجنب المعاملات المحرمة وتطبيق ما أمر الله سبحانه وتعالى به.
- ابتكار منتجات مالية جديدة: تسهم الهندسة المالية في اكتشاف وتقييم المنتجات المالية الجديدة، وتقييم نتائج تطبيقها وتأثيراتها على المستويين الفردي والكلبي، مع وضع معايير وآليات محددة لتصنيف هذه المنتجات وتسجيلها.
- تقنين وتوحيد العقود المالية: تهدف إلى وضع معايير قياسية وشفافية لهذه العقود لضمان قبولها على نطاق واسع سواء على المستوى الإقليمي أو الدولي.
- التكيف مع تطورات الأسواق العالمية: بدلاً من مقاومة التغيرات أو اتخاذ مواقف سلبية، تسعى الهندسة المالية إلى الاستفادة من هذه التطورات، وتصحيح ما يحتاج إلى تعديل لكي يتماشى مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

ثانياً: مناهج تطوير منتجات الهندسة المالية الإسلامية

توجد عدة مناهج لتطوير منتجات الهندسة المالية الإسلامية، ومن أهم هذه المناهج:

أ- منهج المحاكاة

يُعتبر هذا المنهج الأكثر ممارسة في واقع الصناعة الإسلامية اليوم. يقوم على تقليد المنتجات المالية التقليدية مع إدراج بعض الضوابط الشرعية عليها. عادةً ما تكون نتائج هذا المنهج مماثلة لتلك التي تحققها المنتجات الربوية، حيث يتميز بالسرعة وسهولة التطبيق، مما يوفر الكثير من الجهد والوقت في البحث والتطوير. يعتمد هذا المنهج على متابعة المنتجات الرائجة في السوق وتقليدها عبر توسط السلع.

ومع ذلك ، يواجه هذا الأسلوب عدة سلبيات ، منها :

- تتحول الضوابط الشرعية إلى قيود شكلية تفتقر إلى القيمة الاقتصادية، مما يُشكل عبئاً على المؤسسات المالية .
- قد يؤدي ذلك إلى ضعف قناعة العملاء بالمنتجات الإسلامية، إذ يُحمل العميل تكلفة إضافية دون تحقيق قيمة مضافة .
- يعتبر المنتج التقليدي جزءاً من منظومة متكاملة قائمة على فلسفة ورؤية محددة، مما يفقد الصناعة المالية الإسلامية شخصيتها وخصوصيتها . وبالتالي، فإن المشاكل التي تعاني منها المنتجات التقليدية ستنتقل بدورها إلى صناعة المنتجات المالية الإسلامية . وبدلاً من أن يكون التمويل الإسلامي حلاً للمشاكل الاقتصادية العالمية، قد يصبح عكساً لها .
- مع ذلك ، لا يعني ما سبق أن جميع المنتجات التي تقدمها الصناعة المالية التقليدية غير مناسبة للتمويل الإسلامي ، بل ينبغي اقتباس ما يتلاءم مع فلسفة التمويل الإسلامي ومبادئه .

ب- منهج الأصالة والابتكار

- يعتمد هذا المنهج على البحث عن الاحتياجات الفعلية للعملاء والعمل على تصميم المنتجات المناسبة لها، شرط أن تكون متوافقة مع مبادئ الشريعة الإسلامية . إن الاستجابة لاحتياجات العملاء تُعتبر مصدراً للإبداع والابتكار . يتطلب هذا المنهج :
- دراسة مستمرة : من خلال تحليل الأسواق وفهم التغيرات والاتجاهات الجديدة، مما يساعد على تطوير منتجات مبتكرة تتناسب مع احتياجات العملاء .
 - هذا النهج يعزز من قدرة المؤسسات المالية الإسلامية على التنافس في السوق وتلبية متطلبات العملاء بشكل أكثر فعالية، مما يساهم في تعزيز ثقة العملاء في المنتجات المالية الإسلامية .

ثالثاً : أمثلة على أدوات التمويل الإسلامي المطورة من خلال الهندسة المالية

- الصكوك الإسلامية : تُعتبر الصكوك من أشهر الأدوات المالية الإسلامية التي تم تطويرها من خلال الهندسة المالية . تُعدّ بديلاً إسلامياً للسندات التقليدية، حيث تعتمد على مبدأ التورق أو المشاركة في

الأصول بدلاً من الفائدة. على سبيل المثال، صكوك الإجارة تقوم على أساس تأجير الأصول وبالتالي تُعتبر متوافقة مع الشريعة الإسلامية.

المرابحة: المرابحة هي أحد أنواع التمويل الإسلامي الذي يعتمد على بيع السلع بتكلفة إضافية محددة مسبقاً. تطورت أدوات المرابحة لتشمل تمويل شراء العقارات والسيارات وحتى المعدات التجارية، مما يتيح للبنوك الإسلامية تقديم خدمات مشابهة للقروض التقليدية ولكن بطريقة تتماشى مع الشريعة.

المضاربة والمشاركة: تُعد المضاربة والمشاركة من النماذج الأساسية في الهندسة المالية الإسلامية، حيث يقوم المصرف الإسلامي بتمويل مشاريع أو استثمارات معينة ويتقاسم الأرباح مع العملاء وفقاً لنسب محددة. هذا النموذج يُشجّع على الاستثمارات المنتجة ويقلل من المخاطر التي تنطوي على الإقراض التقليدي القائم على الفائدة.

التكافل (التأمين الإسلامي): التأمين التقليدي لا يتوافق مع الشريعة الإسلامية بسبب وجود عناصر الغرر والميسر. لذلك، تم تطوير نظام التكافل، الذي يعتمد على مبدأ التعاون والتكافل بين الأفراد. من خلال الهندسة المالية، تم تصميم منتجات تكافل تلبي احتياجات الأفراد والشركات، مثل التأمين الصحي وتأمين السيارات، ولكن بطريقة تتماشى مع مبادئ الشريعة.

رابعاً: دور الهندسة المالية في مواجهة تحديات التمويل الإسلامي

تُساهم الهندسة المالية في تطوير أدوات مالية مبتكرة تساعد في تجاوز العديد من التحديات التي تواجه التمويل الإسلامي، مثل:

- **محدودية الأدوات الاستثمارية:** تتيح الهندسة المالية تنويع الأدوات المالية الإسلامية وزيادة جاذبيتها للمستثمرين من خلال تطوير منتجات جديدة ومتنوعة.
- **التكلفة العالية للامتثال الشرعي:** تساعد تقنيات الهندسة المالية في تقليل تكلفة الالتزام بالقوانين الشرعية من خلال تقديم حلول مبتكرة تتماشى مع الشريعة الإسلامية.
- **زيادة التنافسية مع البنوك التقليدية:** من خلال تطوير منتجات مالية إسلامية مبتكرة، يمكن للبنوك الإسلامية جذب المزيد من العملاء وتوفير بدائل تنافسية تتماشى مع احتياجات السوق.

التوصيات

- ١ . يُنصح بتشجيع المؤسسات المالية الإسلامية على الاستثمار في البحث والتطوير في مجال الهندسة المالية، لتصميم أدوات ومنتجات مالية جديدة تتماشى مع المبادئ الإسلامية وتلبي احتياجات السوق .
- ٢ . ينبغي العمل على تطوير نماذج جديدة للصكوك الإسلامية تستند إلى تقنيات حديثة مثل التكنولوجيا المالية (Fintech) لتعزيز الشفافية والكفاءة، وجذب المزيد من الاستثمارات في مشاريع التنمية .
- ٣ . من الضروري تعزيز قدرات الكوادر البشرية العاملة في القطاع المالي الإسلامي من خلال التدريب والتأهيل، مما يساهم في تطوير أدوات التمويل ويزيد من كفاءة المؤسسات المالية .
- ٤ . يُستحسن تعزيز الشراكات بين الحكومة والقطاع الخاص في مجال التمويل الإسلامي، مما يمكن من استخدام الهندسة المالية في تمويل مشاريع البنية التحتية والتنمية بشكل أكثر فعالية .
- ٥ . يجب تنظيم حملات توعوية لتعزيز الوعي بالتمويل الإسلامي وأدواته بين الجمهور، بما في ذلك ورش عمل وندوات تعليمية تتعلق بفوائد وأهمية الهندسة المالية في هذا السياق .
- ٦ . ينبغي إنشاء منصات تقنية متخصصة في تسهيل الوصول إلى أدوات التمويل الإسلامي، مما يسهل على الأفراد والشركات الصغيرة والمتوسطة الاستفادة من هذه الأدوات .
- ٧ . يُنصح بإجراء دراسات مقارنة بين الهندسة المالية التقليدية والهندسة المالية الإسلامية، لتحليل الفجوات والفرص المتاحة لتطوير أدوات جديدة وأكثر فاعلية في السوق .
- ٨ . يجب تعزيز التعاون مع الدول الرائدة في مجال التمويل الإسلامي مثل ماليزيا والبحرين، للاستفادة من تجاربها وأفضل الممارسات في تطوير أدوات التمويل .
- ٩ . ضرورة تضمين الآراء الشرعية في تصميم الأدوات المالية الجديدة لضمان توافقها مع الشريعة الإسلامية، مما يعزز الثقة في المنتجات المالية الإسلامية .
- ١٠ . يُنصح بإجراء دراسات لتقييم الأثر الاقتصادي والاجتماعي لأدوات التمويل الإسلامي المطورة، مما يساعد في قياس فعاليتها ودورها في تحقيق التنمية المستدامة .

المراجع

- ١ . أحمد سعيد درشابي، مقومات تفعيل دور الصكوك السيادية في تمويل مشروعات البنية التحتية في مصر في ضوء دراسات حالة من التجربة الماليزية . مجلة جامعة الإسكندرية للعلوم الإدارية ٢٠٢٣ ، .
- ٢ . سامي بن إبراهيم السويلم، صناعة الهندسة المالية: نظرات في المنهج الإسلامي . مركز البحوث، شركة الراجحي المصرفية للاستثمار، الكويت ٢٠٠٤ ، .
- ٣ . سامي بن إبراهيم السويلم، مدخل إلى أصول التمويل الإسلامي . مركز ناعل للبحوث والدراسات، الرياض ٢٠١٣ .
- ٤ . حمزة، وعبد الرحمن علي، نعجة الضوابط الشرعية لاستخدامات الهندسة المالية كمدخل لتطوير المنتجات المالية الإسلامية . في الملتقى الدولي الثاني للصناعة المالية الإسلامية: آليات ترشيد الصناعة المالية الإسلامية، الجزائر، ٢٠١٣ .
- ٥ . د. محمود رجب محمود محمد، دور الهندسة المالية في تطوير أدوات التمويل الإسلامية للمشروعات العامة في مصر ومدى الاستفادة من التجارب الدولية، مجلة جامعة الاسكندرية للعلوم الإدارية، المجلد (٦٠) العدد الثالث، أبريل ٢٠٢٣ .